القمص يوسف أسعد

الكتـــــاب: تعزيـــات
المـــؤلـــف: القمص يوسف أسعد
الطبـــعـــة: الأولى: مايو ١٩٨٢
الثانية: فبراير ١٩٨٨
الثالثة: يناير ١٩٩٥
الرابعة: سبتمبر ٢٠٠٠
الخامسة: سبتمبر ٢٠٠٩
المطبـــعـــة: دار العالم العربى ـ الظاهر ـ القاهرة
إصـــــدار: أبناء القمص يوسف أسعد
ص. ب. ٢١٢ الجيزة
رقـم الايـداع: ١٩٨٢/٣١٦٣

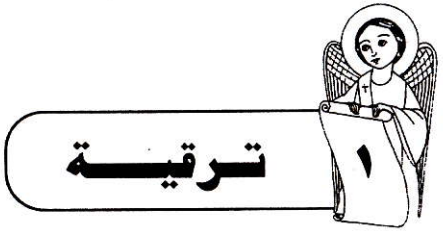

١ ترقيـــة

هل رأيت نعش أحد أقاربك يدخل إلى الكنيسة محمولاً فيوضع أمام باب الهيكل على ترابيزة مرتفعة ترتفع فوق مستوى كل الجالسين فى الكنيسة ؟ ...

هل فهمت المقصود من ذلك ؟! ... إن قريبك هذا الذى بداخل النعش ، قد نال ترقية ! ترقية من السماء ، من فوق . ولذلك قيل « الذى من فوق هو فوق الجميع » (يو٣: ٣١) .

لقد رقاه الله إلى علاه ، فعوضاً عن الأرض صارت السماء نصيبه ، وعوضاً عن الجسد الضعيف الكثيف ... صار الروح الخفيف له ، وعوضاً عن الوجع والدموع ... صارت الراحة والفرح ميراثه ... مَنْ منا له مثل نصيب هذا الذى رأيته فى نعش ، نحن الذين نظن أننا فى الحياة لأننا مازلنا نتحرك بإرادتنا ... بينما نصيبه هناك لا يقارن بنصيبنا هنا . فإن كانت الحياة هنا حلوة ، لكن الحياة هناك أحلى ...

والحياه هنا رسالة ، لكن الحياة هناك كمال الرسالة ... والحياة هنا زراعة دموع ، لكن الحياة هناك حصاد إبتهاج ... لقد قلت لك يا عزيزى : أنه قد نال ترقية ...

والذى يأخذ ترقية أو علاوة يندبون عليه ، و يصوتون عليه ، ويحزنون عليه أم يهنأون له ، و يقدمون الهدايا ؟! ... على الأقل لا ينفعلون إنفعالاً رديأ ولا يحزنون كالذين لا رجاء لهم ...

لعل لسبب هذه الترقية قال الوحى الإلهى على لسان أرميا النبى « لا تبكوا ميتاً ولا تندبوه » (أر٢٢ : ١٠) .

قد قام المسيح من الأموات

وصار باكورة الراقدين ١كو ١٥ : ٢٠

٢ الهيكل مزدحم يا ابنى

بدأ الأب الكاهن القداس الإلهى ، وإستمر فى الصلاة حتى صلاة مجمع القديسين ، وعندما قال « و بالأكثر القديسة الطاهرة مريم العذراء » وجد فتاة بلباس أبيض واقفة فى وسط شرقية الهيكل فى مواجهة المذبح ، وعندما قال : « والقديس إستفانوس ... » وجد شماساً بلباس المذبح الأبيض يقف بجوارها ... وهكذا عند ذكره لكل إسم من أسماء القديسين كان يجد فرداً جديداً يحضر و يزيد عدد الموجودين منهم بالهيكل ، حتى اكتظ الهيكل بهم .

فشاور الأب الكاهن للشماس الواقف بجواره قائلاً : إفسح يا إبنى قليلاً لأن الهيكل إمتلأ ولم إنته من المجمع بعد ! فاندهش الشماس إذ نظر حوله فلم يرَ احد غيره بالهيكل ... فقال للكاهن ماذا تقصد يا أبى فالهيكل ليس به أحد !! ... فقطع الكاهن صلاته وقال له : الله يفتح عينيك يا إبنى ، ساعتها إنفتحت فعلاً عين الشماس ورأى أعداداً عديدة من قديسين بثياب بيضاء وجميعهم وجوههم

مضيئة ... فارتعب الشماس وانحنى إلى الأرض «آه يارب حقاً الهيكل مزدحم بالقديسين المنتصرين ، الذين يلتفون حولك وأنت قائم على المذبح ... أرواحهم تجتمع حول عرشك أيها الروح ... فمن أنا لأقف هنا فى هذا الموضع المقدس !! ...

من ساعتها وحتى سيامة هذا الشماس كاهناً لا يصل إلى صلاة المجمع وتجده واقفاً بل منحنياً على ركبتيه متذكراً ما رآه أبوه وصلى لكى يراه أيضاً ... وفى كل بيت يدخل هذا الكاهن يُذكّر أفراده أن حول المذبح ، لا فى المدافن ، تجتمع أرواح أولاد الله ... والإلتقاء بأحبائنا الراحلين يكون فى رفع بخور بإسمهم فى صلاة المجمع بالقداس الإلهى ، وداخل بيعة الله ، لا فى المقابر حيث تسكن عظامهم فقط .

٣ ما قبل الغروب الجميل

ما أجمل منظر الشمس قبيل الغروب ... إن حلاوة ألوانها المتداخلة وما تصنعه بأشعاعاتها على حافة البحر أو فى حدود الرؤية بالصحراء يجعل كثيرين يترقبون ساعة الغروب ، و يتفرغون لكى يشبعوا بالجمال الإلهى والإبداع المطلق أو ليختزنوا لأنفسهم قوتاً من التأمل حول أعمال الله العظيمة ...

والإنسان عمل من أعمال الله العظيمة ، بل كل عمل صنعه الله فى الخليقة كان يذكر: « ورأى الله أنه حسن » إلا عمل الإنسان عندما أتمه ذكر الوحى الإلهى : « ورأى الله أنه حسن جداً » (تك١: ٣١).

لذلك فالغروب فى حياة الإنسان جميل جداً ، يعد الله الإنسان له ... فالله المحب يختار الإنسان للرحيل من العالم فى أكمل فترات نهضته الروحية ونقاوته الباطنية وجهاداته القوية ... نعم إن الله

ينتظر ، و ينتظر على كل شجرة غير مثمرة و ينقب حولها وهو يقول : « أتركها للسنة القادمة لعلها تصنع ثمراً ... »

فالأواخر فى حياة الإنسان ، حسبما رأينا وشهدنا فى كثيرين من الذين ربونا جسدياً وعلمونا روحياً وأدبونا خلقياً ... كانت فى جمال الشمس لحظة غروبها وكانوا يعطون من الله معرفة اليوم والشهر والسنة ، بل وأحياناً الساعة التى يرحلون فيها ... فالله لا يشاء موت الخاطىء مثلما يرجع ويحيا .

يا أخى العزيز مهما تكن حياتك الحالية ، صل كل يوم من أجل أواخرك وقل : « إجعل يارب أواخرى أكثر بركة من أوائلى ، وأكثر نقاوة ، وأكثر قرباً منك إجعل أواخرى بيدك لتكن يا قدوس الله مقدساً نفسى وجسدى وروحى ، وحاضراً عندى مع أمك العذراء ... حاضراً عندى عند سكرات الموت ، وما قبل الموت وما بعد الموت ... لكى أكون المخلوق الجميل الحسن جداً فى عينيك ... لكى يكون لى نصيباً فى ميراثك وميراث القديسين » .

٤ صلاة الثالث

نحن نقيم صلاة الثالث للراحلين لنتذكر أن سيدنا يسوع المسيح قام من الأموات فى اليوم الثالث كما فى الكتب (١ كو١٥ : ٤) ... فتذكار القيامة يعطى إنتعاشاً للإيمان الذى قد يضعف ، و يشوّق للأبدية والمجد للذى يريد التعلق بالبشر والبشريات و يؤكد أن صفرة الموت ليست هى الخاتمة فى الإنسان الذى عاش يقول « لأعرفه وقوة قيامته ، وشركة آلامه متشبهاً بموته » (فى ٢ : ١٠) ...

ويحسب يوم الثالث عادة من يوم الرحيل ، فإذا كان قد تم الرحيل قبل غروب الشمس يحسب اليوم كاملاً أياً كانت ساعته ، أما إذا تم الرحيل بعد الغروب فيحسب من اليوم التالى لثلاث أيام . وفى صلاة الثالث يصلى الأب الكاهن على : ماء (فى دورق مياه) ، و بقدونس أخضر (أو أى خضرة) فى طبق مجاور ، وعيش (أو طعام من بيت الراحل) . أما الصلاة على الماء والبقدونس ، فلها جذور

إنجيلية وروحية عميقة ... فى الكتاب المقدس يذكر عن شعب الله مروره ببئر « مارة » التى وجدوا فيها الماء مراً ، فصرخ موسى النبى إلى الله عن الشعب ... فقال له الرب أن يلقى فى الماء عرش نخل أخضر كان مجاوراً للبئر، فلما ألقى موسى الخضرة فى الماء المُرة تحول الماء إلى عذب شرب منه الجميع وتعزوا فى البرية . (راجع خر١٥ : ٢٢-٢٦) .

والذين دخل الموت إلى بيوتهم اختبروا كيف يجف الحلق و يصبح الفم مُراً ، وهذا ثابت علمياً . ولكى لا تظل مرارة الحلق مع مرارة الفراق الجسدى يطرح الأب الكاهن البقدونس الأخضر فى الماء لكى يشربوا فيَتعزوا ... أما الطعام فهو مذكر للذين يبتدعون عدم الأكل بعد رحيل أحد الأحباء كنوع من إعلان الحداد ... داود النبى النقى قلبه كان صائماً أيام مرض إبنه ، فلما قيل له أن غلامك مات قام عن مسحه وغسل وجهه وطلب طعاماً وأكل وقام من حزنه وقال : « أنا ذاهب إليه أما هو فلا يرجع إلىَّ » (٢ صم ١٢ : ٢٣) .

٥ بطيخة مرة

كان لسليمان الحكيم عبد يسمى « لقمان » ، إستدعاه للمثول أمامه و بادره بالقول : « سآمرك أمراً هل تطيعه ؟ » فاستغرب العبد المشترى بالمال ورد للفور : « أنت السيد وأنا العبد ، أأمر وأنا أطيع »

فأخذ سليمان بطيخة صغيرة كانت أمامه وأعطاها لعبده قائلاً : « كلْ هذه البطيخة المُرة بشرط ألا يظهر على وجهك أى امتعاض أو تبرم » . فأخذها لقمان من يد سليمان وأكلها ، وفى أثناء مضغها إرتسمت إبتسامة عذبة على وجه لقمان ، فإندهش سليمان من إبتسامته وقال له : هل البطيخة حلوة يالقمان ؟ ... فرد العبد : « لا ياسيدى إنها مُرة مرارة الصبر ! »

فراجعه سليمان « ولماذا إذن تبتسم ؟ » فأجاب العبد : « أبتسم لأنى تذكرت يد سيدى التى قدمتْ لى سابقاً حلواً كثيراً فنسيت المرة الوحيدة التى قدمت لى بطيخة مُرة ... لما تذكرت ، ضاعت مذاقة

المرارة ، فإبتسمت » .

هذا عبد لسليمان يا عز يزى ، أما أنا وأنت عبيد الله الحى الذى قال لنا : « لا أعود أسميكم عبيداً لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده - لكنى قد سميتكم أحباء لأنى أعلمتكم بكل ما سمعته من أبى » (يو١٥ : ١٥) ... نحن أحباء الله ، وإيماننا بمحبته ليس أنه قادر على كل شيء ، ولا يعسر عليه شيء ، بل هو أن نقبل من يديه كل شئ مهما كان مُراً .

وقبول المُر يحتاج إلى تذكر ... تذكر يا عز يزى إحسانات الرب تنسى مرارتك ، ومرارة الأحداث التى من حولك ، فإن إحساناته الجديدة فى كل صباح ... تعلَّم أن تذكر خيرات الله فى وسط آلامك فتتعزى به ...

٦ الفرس الأخضر

فى سفر الرؤيا ، الإعلان الإلهى للكنيسة المجاهدة عن الحياة الأبدية وأمجادها ، لما فتح الخروف الختم الرابع يقول مار يوحنا عن رؤياه : « فنظرتُ وإذا فرس أخضر والجالس عليه إسمه الموت » (رؤ٦ : ٨) .

ما أجمل هذا التشبيه السماوى للموت أن يجعل لون الفرس الذى يركبه أخضراً ، وهو رمز الحياة المستمرة التى تكسو الأرض السوداء بأروع فرس من السندس الأخضر المريح للنظر ، والمبشر بالخير !

نعم إن الموت فى منظار الأبدية راحة وصل إليها الأبطال المنتصرون « وقيل لهم أن يستريحوا زماناً أيضاً حتى يكمل العبيد رفقاؤهم » (رؤ٦ : ١١) !

... نعم إن الموت فى منظار الأبدية بشرى الخير ، قيل عن الذين يصلون إليه « لن يجوعوا بعد ولن يعطشوا بعد ولا تقع عليهم الشمس

عن رقاد موته . وهم ظنوا أنه يقول عن رقاد النوم . فقال لهم يسوع علانية : لعازر مات » (يو١١ : ١١-١٤) ، لقد فارقك ، لا لكى تصرع أنت بصدام الفراق ، لكن لكى تلتقى معه بعد أن تخلع ما خلعه من تراب الأرض ... لكى تلتقيان معاً فى جدة الحياة الأبدية التى قيل عن طبيعتها « الذئب والحمل يرعيان معاً ، والأسد يأكل التبن كالبقر... لا يؤذون ولا يهلكون فى كل جبل قدسى قال الرب » (أش٦٥ : ٢٥) .

إن فراق النوم لا يستوجب البكاء والنحيب والحزن الردى ، لذلك فالرب يسوع عندما دخل بيت واحد من دار رئيس المجمع « لم يدع أحداً يدخل إلاَّ بطرس و يعقوب و يوحنا وأبا الصبيبة وأمها . وكان الجميع يبكون عليها و يلطمون . فقال لا تبكوا . لم تمت لكنها نائمة » (لو٨ : ١٥) ... إن فراق النوم يقودك إلى أن تبكى على نفسك ، وعلى خطاياك وعلى أولادك ... لكى لا يأتى السارق ويجدك نائماً بل مستيقظاً مستعداً مُرحباً .

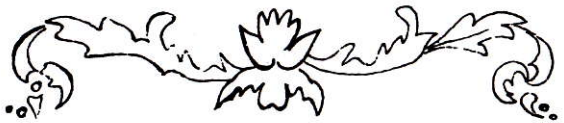

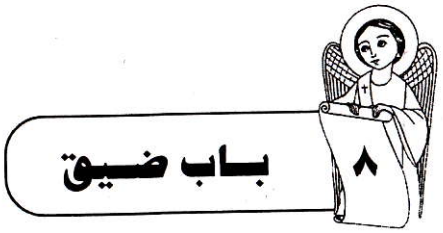

٨ باب ضيق

من باب الرحم الضيق ولدنا جميعاً ، لم نرَ نور هذه الدنيا إلاَّ بعد قضاء تسع شهور كاملة عشناها جميعاً فى ظلام الرحم الأموى ، الذى كنا أحياء ساكنين يختم علينا باب الرحم الضيق بعناية ... وهكذا عندما نولد من جديد ، نولد الميلاد الحقيقى للأبدية بواسطة الموت لابد لنا أن نقضى فى ظلام القبر زماناً حتى نخرج من بابه الضيق ، كما خرجت قبلنا أموات من الجحيم لحظة الصليب المجيد ! ...

إن السمع إحدى الحواس الحية ، التى يتصف بها الأحياء . لكن ربنا يسوع قال « الحق الحق أقول لكم إنه تأتى ساعة وهى الآن حين يسمع الأموات صوت إبن الله والذين يسمعون يحيون ... لا تتعجبوا من هذا فإنه ستأتى ساعة فيها **يسمع جميع الذين فى القبور صوته** فيخرج الذين فعلوا . الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيآت إلى قيامة الدينونة » (يو٥ : ٢٥-٢٩) .

وهذا يؤكد أن الإقامة فى القبر معها حاسة السمع الذى للأحياء ، وهذا يؤكد قول الرب : « أنا إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب . ليس الله إله أموات بل إله أحياء » (مت ٢٢ : ٣٢) .

كذلك فإن الأولوية التى ذكر الكتاب أنها ستكون فى المجىء الثانى معطاة للراقدين على الإيمان تؤكد أنهم أحياء ، وإلاَّ فكيف يتم هذا السبق مع أحياء قديسين أيضاً ؟! ... يقول الكتاب : « **والأموات فى المسيح يقومون أولاً** ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعاً معهم فى السحب لملاقاة الرب فى الهواء » (١ تس ٤ : ١٦ ، ١٧) . فكما تذوقنا اللبن والعسل وفى الحنان الأمومى والإيمان النقى بعد إجتيازباب ضيق فى الجسد وظلام تسع شهور ، هكذا فإن إجتيازنا باب القبر بعد ظلامه زماناً سوف يمنحنا تذوق الرب فى الأبدية بل « كما هو مكتوب ما لم ترَ عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه » (١ كو ٢ : ٩) .

هذا ما سنراه ونتمتع به فى الأبدية السعيدة مع الرب يسوع إن كنا له أبناء حقيقيين بالقول والعمل معاً .

٩ أتوا من الضيقة العظيمة

سأل أحد الأربعة والعشرون قسيساً ما ر يوحنا اللاهوتى : ... هؤلاء المتسربلون بالثياب البيض : من هم ؟ ومن أين أتوا ؟! « فأجاب يوحنا : يا سيد أنت تعلم » ، فقال له القس « هؤلاء هم الذين أتوا من الضيقة العظيمة وقد غسلوا ثيابهم و بيضّوا ثيابهم فى دم الخروف » (رؤ ٧ : ١٣) .

لعلك تلاحظ أن الدم لونه قانى وهو يصبغ كل ما تلقى فيه بلونه الأحمر ، لكن دم إبن الله غسل ثياب الذين أتوا من الضيقة العظيمة حاملين أقذارهم وأتعابهم ... غسل الميلاد الثانى بمعمودية الماء والروح ، فجعل الدم القانى ثيابهم أكثر نظافة وجمالاً ...

والباب الذى فتح إلى تبيض الثياب وغسلها كان بالدموع فى معمودية التوبة المستمرة والجهاد المستمر حتى خرجوا من ميدان الضيقة العظيمة : اغنى العالم . يا عز يزى : هل غسلت ثيابك فى

المعمودية ؟ ... إن لم تكن للآن هلم إعترف بأن يسوع المسيح هو الله الظاهر فى الجسد : إبناً للإنسان وإبناً لله معاً .

وإجعل قلبك أى (أفكارك + ضميرك + عواطفك) تطلب ملكوته الأبدى أولاً وقبل كل شىء . وتقدم إلى الكنيسة للتلمذة الروحية ، وإنتظر العماد بإسم الآب والإبن والروح القدس الإله الواحد . أما إن كنت قد نلت المعمودية ، فتذكر ما الذى دُفع فيها من أجل نوال نعمها !! ... اُذكر دم إبن الله دائماً الذى به اشتريت من عبودية إبليس ، واُذكر أن قيمتك تساوى دم إبن الله الغالى . فإن كنت دنست ثوبك المغسول فى الدم الثمين ، فتعالَ فى ثقة مواعيد ربنا يسوع المسيح الذى قال « تعالوا إلىَّ يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم » ، وألق عند قدميه ضعفك ، وأمام كاهنه اعترافك وأمام مذبحه أشواقك للحياة الأبدية ... وخذ من فوق المذبح الجمرة المطهرة - أى جسد الرب ودمه - لتخرج ثيابك المغسولة مبيضة أيضاً .

لا تتوانَ ، وأسرع الآن . لا بعد دقيقة .

١٠ وأسلم الروح

لم نسمع عن إنسان ، سكن الأرض وغادرها ، إلاَّ بعبارة واحدة تختم بها كل أعمال حياته هى « وأسلم الروح » ، فلأن الإنسان مخلوق من جسد وروح ، فالجسد عند الرحيل يهدأ و يسكن و ينحل إلى أصله الأول . وهكذا الروح أيضاً تنطلق فى طريقها إلى مستقرها الأول والأصيل . عند خالقها وموجدها .

هكذا نؤمن بقول الكتاب « فيرجع التراب إلى الأرض كما كان ، وترجع الروح إلى الله الذى أعطاها » (جا١٢ : ٧) . قيل عن أبينا إبراهيم « وأسلم إبراهيم روحه » (تك٢٥ : ٨) ، وقيل عن أبينا يعقوب أب الأسباط « ضم رجليه إلى السرير وأسلم الروح » (تك٤٩ : ٣٣) ... وهكذا قيل أيضاً عن ربنا يسوع المسيح ، إذ هو إله كامل وإنسان كامل ، ففى إنسانه الكامل كانت روحه مع جسده على الصليب إلى أن أكمل الفداء ونكس الرأس فإنفصلت روح الإنسان الكامل عن جسد الإنسان الكامل وهى التى قيل عنها « وأسلم

الروح » (مت٢٧ : ٥٠ ، مر١٥ : ٣٧ ، لو٢٣ : ٤٦ ، يو١٩ : ٣٠) بينما لم ينفصل لاهوته عن جسده ولا عن نفسه - بقى أن تعرف أن الأرض تستلم الجسد بواسطة الناس سكان الأرض ، بينما تستلم الروح الملائكة كقول الرب « والحصادون هم الملائكة » (مت١٣ : ٢٩) . الذين يرسلون من قِبَل الله لمرافقة الروح إلى مستقرها الأخير . فى الموت يدخل الناس البيت ليجاملون أو يعزون ... ومن مجاملاتهم تثقل الديون ، ومن عزائهم تكثر الجراحات ... لذلك قال أيوب البار لأصحابه وقت بليته « معزون متعبون كلكم » (أى١٦ : ٢) ! ...

أما دخول الملائكة البيت فى موت الإنسان فهو زيارة نعمة وبركة ... زيارة سمائية تنقل إلى الأفضل ... وللأسف فإن إستقبالنا لملائكة الموت دائماً مخزى بالعويل والصراخ والأنين ... ياليتنا يا عزيزى نستقبلهم بالتسبيح والترانيم والشكر...

١١ يومان

يومان فى حياة الإنسان ليس له فيهما إرادة ، يوم الميلاد و يوم الوفاة . فلم نسمع إن إنساناً خيرّ أن يولد أو أن لا يولد ، أو خيرّ أن يرحل أو لا يرحل . إنما هذان اليومان بالثوانى والدقائق فى يد الله وحده . فلا يوجد طفل ينزل إلى الأرض من بطن أمه قبل الميعاد الذى حدده الله له . ولا يرحل إنساناً من الدنيا قبل الميعاد الذى يحدده الله له ولا بثانية واحدة تسبقه أو تلحقه ؛ فأيوب البار قال عن الإنسان : « أيامه محدودة ، وعدد أشهره عندك (يارب) وقد عينت أجله فلا يتجاوزه » (أى١٤ : ٥) . كما قال داود النبى « فى يدك آجالى » (مز٣١ : ١٥) .

أما ما بين هذين اليومين ، فهما فى نطاق حرية الإنسان وإرادته ليصنع ما يشاء و يكتب بيديه أعماله التى تحكم فى النهاية على مصيره بعد الرحيل . فالإنسان فى الطفولة صفحة ناصعة للآبوين والمربين أن

يكتبوا عليها ما أرادوا ليجعلوا من هذا الطين اللين جيل المستقبل البار أو الشرير . وللإنسان فى شبابه وكل مراحل حياته إرادة أن يغيّر السلوك الخاطىء أو التوجيه المنحرف الذى وقع فريسة له بكل قدرته وطاقاته حتى يختار لنفسه العمل الذى يرضى عليه والذى بواسطته يقع فى نطاق رضا الله أو غضبه .

أما ما يجده الإنسان من وصايا إلهية ، أو مبادىء إنجيلية سامية ، فهى ليست قيداً على حريته أو تسلطاً على إرادته ... إنما هى للعاقل مصباح ينير ظلام الفكر والعاطفة ثم الجسد . نعم إن وصايا يسوع لا تحرم الإنسان حرية إرادته إنما هى سياج يسيج حوله يحفظه من تيه العقل وضلال الافكار ونكبات العاطفة ثم أمراض الجسد وعلله ... التى لابد أن تصيب الإنسان الغير الخاضع للوصايا المقدسة ، والتى بسببها يعيش الإنسان لا عمراً ناقصاً بل عمره كاملاً وإنما محروماً من إستنارة العقل وإتزان العاطفة وسلامة الجسد وصحته .

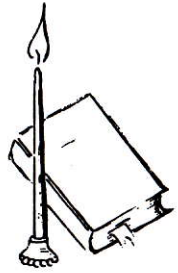

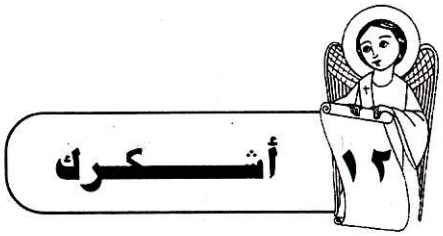

١٢ أشكرك

ليس الإيمان هو أن تصدق ما لا يرى فقط بل وأن تقبل من الله كل شىء ولسانك ينطق « أشكرك يارب » .

فالشكر فى كل شىء ، وكل حين هو دلالة على صدق الإيمان : تصديق الله فى كل وصاياه ، وفى كل عطاياه لاسيما التى لا تتفق مع هوى الإنسان ورغباته .

هذا الشكر هو علامة تكريس القلب الحقيقى ، أى تخصيص الأفكار والعواطف والضمير لله الذى أوصى « تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك ومن كل فكرك » (لو١٠ : ٢٧) .

هذا الشكر يتحقق بثلاث تدابير مترابطة : الأول رفض العالم ، الذى قال الكتاب عنه « محبة العالم عداوة لله » . أى رفض مبادئه ، وأساليبه ، ومراكزه ، وشهواته ، وخدامه وتابعيه . لا رفضاً

شكلياً مؤقتاً لا يلبث أن يزول تحت مؤثراته ، بل رفضاً نابعاً من محبة المسيح وصدق رؤية السماء والتحقق من وجودها .

أما التدريب الثانى لتحقيق الشكر فهو اليقين بترابية العالم . فكل سكان العالم من تراب خلقوا وإلى التراب يعودوا ، يأكلون من التراب لترجع نفاياتهم إلى التراب ، يلبسون تراب ، يسكنون فى مساكن تراب يرتفعون بها فوق التراب لتهوى ثانية تراب ... سلطانهم تراب يدفن معهم ، كراماتهم من تراب لذلك قيل « الإنسان فى كرامة لا يبيت » ...

والتدريب الثالث لتحقيق الشكر فهو عمل كل شىء من أجل يسوع ، وبيسوع ... آكل وأشرب لأمجده ، أنام لأجله ، أستيقظ وأنا معه لأمارس أعمالى اليومية البسيطة لا كمن يرضى الناس بالعين بل كمن يدرك عين الله الساهرة التى تراقبه حتى فى الخفاء فيأخذ مجازاته من العادل وحده . ومهما كانت نتائج العمل رابحة أو خاسرة فطالما أن العمل ليسوع وبيسوع فأرباحه أو خسائره تكون ليسوع أيضاً أما أنا فأظل أناديه « أشكرك يارب » .

١٣ كل الحياة

كل أيام الإنسان على الأرض - قصرت أو طالت - هى بعض الحياة بل هى مقدمة للحياة فقط ، وعندما يمر الإنسان من باب الموت لا ينتهى بل ينهى المقدمة لكى يدخل إلى موضع الحياة أى الأبدية . فكثيرين ممن نعرفهم عن قرب جسدياً عندما إقتربوا من باب الموت صاحوا أمامنا وفى حضورنا : « أنا ذاهب للدار البيضاء » ... « إفتحوا الباب ... أولاد يوسف فى مدارس الأحد حاضرين ولابسين شمامسة » ... « أنا شايف أبونا ميخائيل ومعاه قسوس آخرين فى الصالة الآن » .

... إلى غير هذه التعابير التى تؤكد أنهم ذاهبون للحياة عينها ، وأننا بأفخر أيامنا على الأرض لا نعيش إلاَّ الظل فقط ... لا ننكر أن الظل منعش ولذيذ ، ولكنه لا يحمل حلاوة ثمرة أو شفاء ورقة ... حقاً الحياة هنا حلوة ، ولكن الحياة هناك أحلى ...

ثم ظهورات رجال الله القديسين على مر العصور ، كظهور صموئيل النبي بعد وفاته وظهور مار بولس الرسول لتلميذته تكلا بعد قطع رأسه لتطييب خاطرها ، وظهورات أمنا الطاهرة العذراء مريم لاسيما فى كنيسة الزيتون ... غير ظهور الأنبا إبرام أسقف الفيوم والجيزة بعد نياحته لكثيرين من أحدهم ضعفى ، وظهور أخوة مؤمنين راحلين لأولادهم وأسرهم بعد نياحتهم ... هذه الظهورات المتكررة تحمل إلينا صدق إيماننا بأننا نعيش هنا مقدمة الحياة فقط وهؤلاء هم الذين يعيشون الحياة كلها ...

وكما يقول المثل : الكتاب من مقدمته ، والخطاب من عنوانه ... فكثيرون يضيعون عمرهم فى كتابة مقدمة الحياة باللهو والإنغماس فى الشهوة والسعى الدؤوب نحو الغنى ومحاولة إقتناص الجاه والسلطان ... وإذ بهذا كله فى نهاية هذه المقدمة يأخذون قبضة ريح فى أيديهم التى حالماً تفتح بالموت لا يجدون إلاَّ النهاية المؤسفة : أضاعوا عمرهم فى لا شىء ... هؤلاء من هنا يقرأ فى سلوكهم : « الحياة لا ترضى بالتوافة » ...

أما القديس أغسطينوس فقد قرأ العالم مقدمة حياته « جلست فوق قمة العالم حينما صرت لا أشتهى شيئاً ولا أملك شيئاً » . وأنت يا عزيزى ماذا تكتب فى مقدمة حياتك ؟

١٤ الإله الذى يعوض

ماذا فقدت يا عزيزى ؟ هل فقدت إنساناً عزيزاً ، أو مالاً عرقت فى كسبه سنيناً ، أو مركزاً جاهدت حتى بلغته ، أو زرعاً بالدموع بذرت بذاره ، أو بيتاً حملت على كتفيك كل طوبة فيه ، أو صحة رغم حذرك وحرصك ، أو حرية رغم شرفك وأمانتك ... ماذا فقدت ؟ ...

مهما يكون فقدك يا عزيزى فأرجوك أن تتذكر فى الحال ثلاث أمور : الأول أن لك إله فى السماء حىّ وموجود قوى ومعين قال « أعوض لكم عن السنين التى أكلها الجراد ... فتأكلون أكلاً وتشبعون وتسبحون إسم الرب إلهكم الذى صنع معكم عجباً ولا يخزى شعبى إلى الأبد » (يوئيل ٢ : ٢٥ ، ٢٦) . إنه صادق أن يعوض لك ، وليس أى عوض بل عوض الشبع بأسلوب غير مألوف معجزى عجيب ... نعم يا أخى لك هذا الإله العظيم بل معك وأنت تمر معاناة الفقد . أنتظر وعده ، وأدعو إسمه بالتسبيح والصلاة لأن « كل من يدعو بإسم الرب ينجو » .

ولا تنسى أن هذا الإله هو أبوك « أنت يارب أبونا ، ولينا منذ الأبد إسمك » (أش ٦٣ : ١٦) . فإن كان فقدك بإرادته وسماحه فهو أبوك الحىّ ، وإن كان فقدك بسبب خطاياك وضلالك فتذكر أن ضلالك لا يلغى مسئوليته عنك وتولى أمرك سيتولى التعويض المناسب .

تذكر هذا ، ثم تعقل ، ولا تضيع الوقت فى العويل والبكاء والعطف على الذات ... فعندما يجرح أصبعك لا تترك الدم ينزف لئلا تفقد أكثر أو تتلوث إنما بسرعة تعمل عملاً لتضمد الجرح وتضمن سلامتك ... هكذا مهما كانت صورة الفقد فى عينك قم أعمل عملاً بانياً جديداً وإن لم تكن لك قدرة على عمل أى شىء ، فعلى الأقل أعمل عمل حنة النبية فى مرارة نفسها وهى واقفة قبالة الله ... أعمل عمل الصلاة ، وإبحث عن ذبيحة رحمة تؤديها ...

أخيراً يا أخى مهما كان فقدك هنا على الأرض فمن الإنصاف أن ترجع ليوم مولدك حينما خرجت عرياناً من بطن أمك وحيداً بلا حول ولا قدرة حتى لإطعام نفسك أو تغيير ثيابك لكنك الآن تملك على الأقل إرادة تحول معاناة فقدك إلى سعى جديد وعطاء جديد ورجاء جديد .

أتذكر يوماً سرت فيه مفلساً ، أن الله قادنى لزيارة شاب عمره خمس وعشرين سنة يعانى من فشل كلوى و يضطر إلى عمل غسيل إسبوعى يكلفه أسبوعياً تسعون جنيهاً ... أى ما يقرب من خمسة آلاف جنيه سنوياً ... فقلت لنفسى أشكرك يارب على إفلاسى ، لأنك جعلت فى داخلى كلى سليمة تذكرنى أنه لو كان عمرى فى عمر هذا الشاب فقط (الذى يعانى من هذا الفشل منذ طفولته) لكنت أنا الإنسان الذى يحمل فى جنبيه ١٥٠,٠٠٠ جنيه !

هذا عدا باقى أجهزة أعضائى ، فالكمبيوتر الذى فى رأسى لا يقل بالحساب البشرى عن مليون جنيه والكاميرات التى فى عينى كم تساوى ؟ وأجهزة الكهرباء والتنقية التى أحملها من يد الله الغنى فى جسدى جعلتنى أخرج من زيارة هذا الأخ وأنا أقول لنفسى فى إفلاسى : أنت بنك غنى ، تحمل صورة إبن ملك غنى !

وإذا لم تفلح مع نفسك بهذه الأمور الثلاثة لمواجهة نفسك فى حالات الفقد التى تمر بها ، فتذكر أخيراً أنك ستخرج عرياناً من هذه الدنيا كما خرج كل إنسان دخلها ... وحتى الذى لم تفقده للآن سوف تفقده أيضاً ...

فى ميلادك دخلت الدنيا عرياناً ، وفى رحيلك ستخرج من الدنيا

عر ياناً ... مثلك مثل ثعلب وجد فى جدار كرم ثقباً صغيراً فدخل منه إذ كان جسده يسمح بالمرور خلاله ، ولما دخل الكرم وجد مشتهاه فأكل وأكل حتى شبع وسمن ... ولما أراد الخروج وجد جسمه لا يتفق مع حجم الثقب . فصام حتى رجع جسمه للحجم الذى يسمح له بالخروج مرة أخرى ... إننى أرى فقدك لم يكن سوى صوم ... هل ترانى عاقلاً وأنا أشد على يدك وأهنئك لما فقد منك ، فأنت ترجع إلى عر يسك الأول لكى تخرج مباركاً من هذه الدنيا ومستقبلاً من الله وقديسيه فى أخداره السمائية بكل مشتهاها ... أقولها بكل إصرار : مبروك ما فقد منك ...

الإله الذى
يعوض لنا
(يوئيل ٢ : ٢٥)

إن كانت الحياة هنا حلوة ،

لكـــن الحيـــــاة هنـــاك أحلى .

والحياة هنـــا رسالــــة ،

لكن الحياة هناك كمال الرسالة ..

والحياة هنا زراعة دموع ،

لكن الحياة هناك حصاد إبتهاج ..

١,٠٠